

بين الشهرة والخلود

لأميل لدفيج

تلخيص محمد أمين حسونة

خطر يبال ذات شتاء أن أمضى شطراً طويلاً منه في منطقة الألب لأستمع بدفء الجبال ، فكان مما استرعى اهتامي في منطقة التيرول ، تلك الكنيسة الفخمة التي اشتهرت منذ القرون الوسطى بأرية ناقوسها وروعته ، فلما مر بخاطري زيارته ، صعدت الى القبة لأشبع العين من فنتته ، وهناك تملكنتي الدهشة والمعجب ، إذ كانوا يلقون صورة « شيللر » إلى جانب صور القديسين الأبرار ، كتذكارة لمقطوعته الخالدة « نشيد الناقوس » !

مدينة الأحرار

للاستاذ محمد محمود جلال

الله أكبر « يا جنيف » فوق الجمال « دم خفيف »
 طهرت كالجينات من لغو ومن هم مطيف
 وخوت للأحرار إلا من نسيم أو خفيف
 يلقو الريح بك المشرد بعد إعنات الخريف
 كم ست عزة أنفس ووقيتها ورد الخوف
 فوفقت سدا مانعا دون العواصف والصروف
 فيك التقيت بنجبة هم عدة الشرق المنيف
 وغنمت أمتع جلسة في «بارك»^(١) لجرنج «الريف»
 وإذا البحيرة ناظر إنسانه من (ليزوفيف)^(٢)
 يذر الفؤاد مرعداً « الله أكبر يا جنيف »

(١) هو بارك لاجرنج La Grange من أوسع التفرعات وهي صاحبة القصر القائم في وسطه للبلدية ، وشرط ألا يدخله غمر ولا رقص — وتقوم بإدارته أرق سيدات الأسر الكبيرة بجنيف — ويعطرون فيه إعطاء « قميش »

(٢) يهتم السويسريون ويعتزون بعميرة لين . يحسبون استئثارها ملاحه وصيداً وشراباً ويدعون ماءها (Les eaux viues) ولهم ميدان لهذا الاسم في المدينة .

فشيللر الكاتب المحدث ، عدو الكنيسة والكنائس ، يميلون منه رمزاً للقداسة والخلود ؟ ولكن لا يجب فقد تذكر شهرته كشاعر مخلص لذكرى « الناقوس » التي حدث بهم الى رفعة في مثل هذا الموضع الذي يرتكز عليه ، وهكذا تكون الشهرة حامية للأغلاط . إننا نذكر جميعاً غلطة « كوك » المروفة ، وكيف دفعته الى مصاف العطاء ، وقذفت باسمه الى أول قائمة المكتشفين الخالدين ، ولو أن لبعته لم نكتشف إلا بعد مرور فترة طويلة !

إذن فالشهرة ليست بمعناها المعروف ، هي « العظمة » ، وقد لا تهدينا شهرة الرجل الى تقدير مناحي عظمته في ثوبها الحقيقي ، وإلا كان من حقنا أن نفاخر « بشارك شابلي » عن « برجون » وأن نفضل « مستنجيت » على « مدام كوري » . مع أننا كمؤرخين في عتقنا دين يجب تأديته للأجيال المقبلة ، ذلك هو تصحيح الأخطاء التي تلابس أولئك الذين يستحوذون على الشهرة عن طريق الخداعة .

وقد بما ذكروا : ألا يجوز البتة إعلان كون الناس سخفاء ماداموا أحياء^(١) ، فإذا جاز لنا أن نحكم بأن حياة الانسان إن هي إلا رواية تمثل مشاهدتها ، فيمكن « فصل خامس » منها أن يطنء أنوار فصول أربعة تقدمته ، وفي ضوء هذه النظرية لا يمكننا الحكم على أعمال الرجال إلا بعد موتهم ، ولا أن نخلع عليهم ثوب العظمة وهم أحياء ، فمن المحتمل أن يأتي هذا الثوب فضفاضاً عليهم ، أو يحدث في أواخر أيامهم ما يدفعهم الى تشويه هذه الصفحات التي تكون قد ملأناها حمداً وثناء عليهم !

إن سرعة انتشار الأخبار تمكننا من معرفة أي رجل اشتهر في أقل من لمح البصر ، فاسم « ليندبرج » — قاهر الجو — عرفه في ليلة واحدة خمسمائة مليون شخص من أقاصى منشوريا الى جنوب استراليا ؛ كذلك كان أمر « كوك » حين انتحل لنفسه اكتشاف القطب الشمال ، ولو أن خدعته اكتشفت فيما بعد ، ولكن بعد فوات الفرصة ، وبعد أن رسخ اسمه في قلب كل انسان كماكتشف عظيم !

إن الآلة التي تخرج لنا العطاء اليوم غيرها قبل خمسين عاماً مضت ، فليس الرجل المكسري هو الذي ينال إعجاب أبناء هذا الجيل ، وليس من حقنا تدوين اسمه في ثوب العطاء ، كما فعل

(١) هنا الرأي مأخوذ عن أرسطو في كتابه « الأخلاق »

نعم إن هناك كتاباً يفوقون « شو » سواء في قوة الانتكار أو سلامة الأسلوب ومثانة التعبير ، وأذكر منهم : ابان ، وهمسون ومان ، ودانزيو ، وبير اندلو ، ورولان ، ولويس ، ولكن « شو » قد أثر بآرائه ومداعباته واستحواذه على لب القارى أكثر من سواء .

وإذا خطر لنا أن تسكلم عن السياسة حق لنا أن نعرف بأن رجالها قد احتضروا واحتضروا من الأفق سراعاً : ويلسن ، ولينين ، وكليمنسو . أما « لويد جورج » فشيخ رجال السياسة الحاليين وأكثرهم دهاء ، و « موسوليني » أخطرهم وأصغرهم سناً ، ولكن إذا تحدثنا عنه كسياسي ، أيحق لنا أن نتمته بالمعظمة ؟ كلا ! فالحكم للمستقبل . وموسوليني يؤدي الآن دوره على خشبة المسرح ، وقد انصبت الأنوار فجأة عليه من كل جانب فأخفت « الرتوش والكياج » التي تخفى شخصيته الحقيقية ، وتظهره أمام الجماهير في ثوبه الخيالي معبوداً للشعب ؛ انه لا يزال في الفصل الثاني من الرواية التي تمهد القيام بدور البطل فيها ، وليس لأحد أن يتكهن إذا كان الستار سيسدل عن تصفيق وإعجاب ، أو عن استهزاء وسخرية (١) !

وإذ ذكرت سياسي الجيل الحاضر ، فاني أتحدث عن « فيزيولوس » اليوناني و « مازاريك » التشيكي : فالأول سياسي محنتك ورجل داهية ، والثاني حلم بني وطنه لعشرين عاماً خلت ، كما أن زعماء المضطهدين — لسان حال الشعوب المظلومة — قد أحرزوا الإعجاب بعبادتهم الاشتراكية السامية ، وضرخوا أحسن الأمثال لأهمهم في التضحية ، وأخص بالذكر منهم : « مكسويني » محافظ كورك الذي ذهب نحية إخلاصه لمبده ، و « غاندي » رجل الهند — بل الشرق — الوحيد .

أما رجال العلم والصناعة فقد كان الجيل الماضي حافلاً بالكثير من شخصياتهم البارزة . أما جيلنا الحاضر ففتقر الى طائفة كبيرة

(١) لايل للفيج رسالة طويلة كتبها بعد هذا البحث عن « محادثاته مع موسوليني » ضمنها آراء أخرى يعارض فيها كتاب لويجي ستورزو عن « إيطاليا والفاشية »

الاسكندر وقيصر وناپليون ، كلا ! فالشعوب أصبحت لا تنهات على معرفة اسم القائد المنتظر في الميدان ، لكنهم يتساءلون عن الآلة الجهنمية التي أحرزت التغلب ، وخفقت فوق ربوعها بنود النصر . وخذ اسم الماريشال هيندنبرج مثلاً ، فلا يتطرق الى أذهاننا أن شهرة اسمه راجعة الى عظمتة الحربية وحدها ، بل لذلك الاعتقاد السائد في النفوس ، وهو اعتباره « أباً للشعب » . والاعجاب اليوم لا ينال الجيوش الظافرة في ساحات الوغى ، أكثر مما ينال ذلك « الجندي المجهول » الجامع لرفات الانتصار والانتكار .

إن شهرة كبار القواد الذين خاضوا غمار الحرب العظمى ، وكان النصر حليفهم في المارك الكبرى ، قد تضاءلت حتى كادت تتلاشى ؛ كذلك مال بلسودسكي ومصطفى كمال وموسوليني ، فسوف يصبح اسم كل منهم خرافة سائمة في أفواه الأجيال المقبلة .

ومن يحرز الشهرة إذن ؟ إن رجال الألعاب الرياضية وأبطال الملاكمة ونجوم السينما وحدهم الذين يحرزون الشهرة دون غيرهم . أما الأولون فلأن الجماهير تسامح بقسط وافر في الشهرة التي يحرزونها عن طريق المراهنة في مبارياتهم ؛ وأما نجوم السينما فيستولون على الشهرة بفضل الملابس الزاهية وإتقانهم الأدوار التي تتطلب المثل العليا في الحب والتضحية .

ولأنهم جميعاً يشغلون قلوب الجماهير ويستدرجون عواطفهم في كل مناسبة ، فلامحهم وصورهم وحياتهم الخاصة مطبوعة على صفحة كل قلب بفضل الصحافة المصورة التي تمهد لهم سبل الشهرة واللهاية فكاروزو مثلاً أشهر أكثر من غيره من المغنين السابقين بفضل اختراع « الفونوغراف » الذي خلد صوته إن مهمة المؤرخ دقيقة وعسيرة في هذا العصر ، فيجب ألا يعتمد على الشهرة وحدها في جعلها مقياساً للمعظمة ، وإني باعتباري مؤرخاً لا يحق لي مطلقاً أن أخدع نفسي وقرائي بجعل الشهرة عظيمة . إني لا أجد اليوم موسيقياً بمد « مول » ، وأذكر « ليرمان » في أول قائمة الفنانين العالميين ، وأسائل نفسي وقرائي عن « كاتب القرن الحالي » الذي يحق له إحراز هذا اللقب النبيل ، والذي له الفضل في تربية ملكة الذوق لجيلنا الحاضر فلا أجد غير « برنارد شو » ، كما كان « فولتير » كاتب القرن الثامن عشر ،

مكانها الأنوار الكهربائية الثلاثة ، لمن توجه بالحمد على كل هذا ؟ لمن الفضل في سر الاتصال بين الأمم بأسلاك التلغراف وفي نقل الرسم والصوت من مكان قصي فوق تلوج سيريا الى عبيد الكونغو مثلاً ؟ إن أحداً لم يستطع تذليل العلم وتسخيرها في أغراض المجتمع وإفادته كما استطاع ذلك خالد الذكر «أديسون» .

وهكذا تأتي في النهاية لتشييد بذكر أكبر عالم نظري الى أعظم مخترع عملي ، أولها ألماني وهو عقل العالم الذي عيّر به حقيقة الأشياء ، وثانيهما أمريكي وهو عين العالم التي ترى بها الضوء ، كلاهما نشأ فقيراً معدماً ، ليس مديناً لأحد إلا لمبقرته ونبوغه ، هما « إيمانيس » الذي وهب الثقافة وحرية الفكر للعالم ، و « بروميسيس » الذي اختطف النور من الآلهة ليهديه الى البشرية ها :

اينشتين وأديسون .

محمد أمين حسونة

منهم ، فانه لا يوجد اليوم علماء للآثار القديمة جديرين باحراز هذا اللقب الذي استخلصه لنفسه شامليون ، ولا مؤرخون يستطيعون إرواء ظمأ التمثيليين الى نظريات حديثة ، ولا علماء في الاقتصاد والتشريع والفلك كعلماء القرن الماضي من الإنجليز أو الألمان .

إن عالمنا اليوم لا عمل له سوى الجمع بالنسبة لماضي ، والتمهيد بالنسبة للمستقبل ، ومع كل فهناك شخصيات برزت في بعض الصناعات التي كان العالم في أشد الانتقار اليها . فبركلند ، وآيد الترويجيان انتشلا شعوباً من المجاعات باقدامهما على استخراج النيتروجين من الهواء ؛ و « هابر ، وارانست ، وارينوس » أول من أحدثوا نظريات جديدة بشأن السوائل ، كذلك « بور » الدانيمركي و « بلانك » الألماني ، والى جانبهما تأخذ « مدام كوري » مكانتها العلمية كامرأة واصلت البحث والدرس بسد موت بعلمها بعشرين علماً .

أمم علماء النفس فعلى رأسهم « فرويد » الذي أيقظت نظرياته الحديثة شعور ألوف المثقفين في العالم ؛ ويحيى دور « اينشتين »

شيخ علماء الحكمة الطبيعية الذي زحزحت نظرياته الرياضية الكثير من الاعتقادات العلمية التي كانت سائدة في أذهان علماء الأجيال الغابرة .

وهناك « ماركوني » الايطالي و « اركو » ، والى جانبهما « اخوان رايت » و « فورد » ، والى جانبهم أبطال الصناعة الذين لهم الفضل في ابتكار اللاسلكي وبناء الجسور وحفر الترع وتشبيد المنشآت الهندسية الحديثة كمحطات الكهرباء والخزانات والصاف وناطحات السحاب .

ولكن أين هم هؤلاء الأبطال ؟ من هم أساندة الصناعة والفن اليوم ؟ من يعرف منشئ جسر اليشون أو أرث الخامس أو خزان أسوان ؟ من الصب أن نعرف أسماء كل هؤلاء الأبطال ، لأن أعمال الشركات خيمت على جهود الأفراد ، وجهود الأبطال قد اندمجت في أعمال الشركات . وعند ما تنحدر الشمس الى المنيب ومجد

ابن سجع

سياسة، حروب، مظالم

بقلم
مصطفى الحفاري

عن وليمز وأرمسترونج «بتصرف»

ثمنه ١٢ قرشاً ، ويطلب من الطبعة المصرية بالأزهر تليفون ٥١٧٠٤

ومن مكتبة الهلال بالنجالة ، والمكتبة التجارية بشارع محمد علي